إشكالية الهوية لدى المراهقين المدمنين على المخدرات من خلال رائز الرورشاخ

كريمة طوطاوي*
كلية العلوم الاجتماعية جامعة الجزائر2 (الجزائر)

Identity Problematic of drug addicted adolescents through the Rorschach

Karima Toutaoui
Faculty of Social Sciences, University of Algiers 2(Algeria),
:toutaouik@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:2019/07/23؛ تاريخ القبول: 2019/11/29؛ تاريخ النشر:2022/08/31

ملخص. يطرح الإدمان على المخدرات في المراهقة صعوبات في بناء الهوية. فالإدمان يرتبط بإشكالية فقد أو عدم استقرار المواضيع الداخلية، الأمر الذي قد يعرقل إتمام عملية الحداد الطفلي ويهدد بفقدان الذات. إن دراس ة بروتوكولات الرورشاخ لأربع مراهقين مدمنين على المخدرات، أوضحت أن لديهم ضعفا في الإرصان العقلي للصراع النفسي ونقص في الوظيفة الرمزية المسؤولة عن تطوير التداعيات النفسية، وتسرب انفعالات اكتئابية-نرجسية أليمة،بالإضافة إلى تصورات لمخاوف بدائية تثير القلق الاضطهادي. كل هذه المؤشرات تدل على وجود وضعية نرجسية غير أكيدة، والتي تعد مصدرا لهشاشة التقمصات، واضطراب صورة الذات وعدم استقرار حدود الهوية والشعور بالاستمرارية النفسية. وإحياء "خبرة الإثارة المحسوسة" يحقق الشعور بملء الفراغ الداخلي وتملك جسد حقيقي، وصد الاكتئابية أو النشاط التدميري لنزوة الموت. فالمراهق المدمن على المخدرات قد يشعر بالقلق من زوال الذات وما هذا الشعور إلا خبرة بدائية "عديمة المعنى".

الكلمات المفتاحية. قلق اكتئابي؛ نزوة الموت؛ زوال الذات؛ اضطراب الهوية.

Abstract. Drug addiction in adolescence poses difficulties in building identity. Addiction is associated with the problem of loss or instability of internal subjects, which may hinder the completion of the child mourning process and threaten self-loss. A study of the Rorschach protocols of four addicted adolescents showed that they had a weakness in psychic elaboration of psychological conflict, a lack of symbolic function, the leakage of painful depressive-narcissistic emotions, and primitive perceptions of persecution anxiety. These indicators reveal an uncertain narcissistic situation, which is a source of psychological fragility, self-image disorder, unstable identity boundaries and a feeling of psychological continuity. Resorting to "experience of sensory excitations" achieves the feeling of filling an internal vacuum and possessing a real body, and repel depression or destructive activity of the death impulse. Addicted adolescent may be worried about the Self-annihilation and this feeling is only a primitive "meaningless" experience.

Keywords .Depressive anxiety, Identity disorder, Self-annihilation, Death impulse

*corresponding author

1. مقدمة

الهوية مفهوم تطور في حقل علم النفس الاجتماعي على يد أريكسون (Erickson,1950) وأصبح متداول في علم النفس المراهقة خصوصا. ولعل أشهر تعريف للمراهقة والأكثر تداول في أدبيات التحليل النفسي، يمثلها كمرحلة "أزمة هوية". (Crise de l'identité)ونعرف الهوية على الصعيد النفسي، أنها خبرة داخلية مباشرة بخصوصية الذات و باستمراريتها وديمومتها و اختلافها عن الآخر، وهي إذن خبرة شعورية بامتلاك الذات و بالديمومة النفسية وباستقرار حدود الأنا عبر الزمن، يستمد منها الأنا الشعور بكينونته، وعلى أنه هو، ودائما هو. وينشأ هذا الإدراك عن تمايز الحدود ما بين الأنا وما سوى الأنا منذ المرحلة المبكرة نسبيا من الحياة.ويتطور الشعور بالهوية بنمو القدرة على الاستقلالية واكتساب تجارب حياتية تطور مستوى استثمار الذات. وتتزايد خبرات الحياة التي تخضع الأنا لاختبار استمراريته، حيث يتعرض بناء الهوية لاختلال أو إثراء جراء التفاعلات القائمة ما بين الشخص ومواضيع العالم الخارجي، وأيضا بناء على تغيرات النمو.

وتعتبر المراهقة أهم مرحلة بالدرجة الأولى تحدث فيها التغيرات الجسدية والنفسية، والتي من شأنها إحداث اضطراب عابر أو مزمن في معالم الهوية التي تأسست منذ الطفولة.وبحكم أن الهوية تستند إلى الصورة الجسدية أساسا، من الطبيعي أن تتعرض لاهتزازات تبعا للنوازع الجنسية للمراهقة، فالجسد الذي كان بالأمس محورا شبه ثابت لتمثيل الذات لدى الطفل، أصبح مصدر إثارة الالتباس في الهوية، تناسبا مع التغيرات الفيزيولوجية للمراهقة. وبالفعل قد يشعر المراهق بتحول جسده أمام فقدان معالم جسده "الطفولي"، وبالتالي هو يشعر بخطر تشوه معالم هويته. وقد يتعرض لاضطرابات نفسية متفاوتة التعقيد في حال الفشل في استعادة الصلة بالواقع، ولعل أخطر أوجه الانزلاق الباتولوجي والأكثر احتمالا لدى المراهقين، ظهور الفصام أو السير الذهاني العارض أو المزمن.

إذن، الهوية في المراهقة غير مستقرة بشكل تام، فالتوترات النفسية والضغوط النزوية تولد حالة من التذبذب الانفعالي والعقلي أحيانا لدى المراهق. وإن كانت المراهقة توصف" كأزمة هوية" فلأنه من الصعب على المراهق خصوصا ذو هشاشة نفسية استعادة توازنه الداخلي، وغالبا ما يتقلب بين حالات مزاجية متناقضة دون مبرر موضوعي واضح. لا شك أن هناك نشاط نفسي مكثف في المراهقة يتضمن صراعات دينامية تعيد سجل الاستثمارات النفسية الطفلية إلى الواجهة بكل ما فيها من اختلالات أو نقائص، وتتصاعد حدتها إن اعترض النشاط الدفاعي عملية إدماج النزوات الجنسية وبناء صورة "الجسد الجديد" المؤهل جنسيا. ومن الطبيعي إذن، أن تختلط مراجع الهوية ويلتبس الشعور بالديمومة والاستمرارية النفسية.

والخطورة تكمن فيما يخلفه هذا الالتباس من تخريب في التوظيف النفسي للمراهق، فقد يتراوح ما بين القلق العابر إلى مخاوف الجنون، أو فقدان الشعور بالوحدة النفسية أو بالهوية. ومن المراهقين من يجأ لحلول خارجية كالإدمان على المخدرات، دفاعا أمام تصاعد هذه المخاوف الداخلية. وبالفعل، يطرح الإدمان على المخدرات في إطار المراهقة مشكلة صعوبات متفاوتة في بناء الهوية. تستيقظ المخاوف لدى المراهق بمستويات متفاوتة، فهو مطالب اجتماعيا ونفسيا باللحاق بمكانة الراشد، ولا يدركها إلا بإنجاز عمل الانفصال وحداد مواضيع تعلقه الطفلي، إلى جانب إدماج الجسد الناضج جنسيا في صورة الذات. هذا جزء أساسي في العمل النفسي المعقد للمراهقة والذي يندرج فيه التاريخ الشخصي للمراهق. ومن عوامل نجاح عمل الحداد في المراهقة، نوعية الصور الوالدية المستدخلة مبكرا، وكذا النماذج التي يحتاج إليها الطفل لتطوير تقمصاته و تمثل هويته لاحقا. فإن كانت تقمصات الطفل تساعده على تحمل الانفصال وتطوير رغباته وتحديد مشروعه ودخول حلقة المنافسة الاجتماعية، فإن المراهقة ستعيد وتستكمل بناء هوية أكيدة، توجه حياة الشخص لمبتغاه طيلة الحياة، وتجسد بذلك ميلادا ثانيا لشخصه. في المقابل، إن كانت التقمصات الطفلية ضعيفة أو مدمرة لصورة الذات إلى جانب استدخال خبرات علائقية أو تواصلية صادمة في المرحلة المبكرة، كأن تثير جروحا عميقة في التصورات البدائية للذات، فذلك سيعيق

دخول الطفل لوضعية الشخص، ويستبقيه كموضوع تابع لسيطرة الآخر سواء بالحب و/أو الكراهية. وهذه الإصابة المبكرة للدعائم النرجسية تولد نشاط التقمصات السلبية ولا تساند مواصلة بناء الهوية في المراهقة، هذا إن لم يحدث انكسار في النمو النفسي للمراهق حسب مفهوم لوفر (Laufer&Laufer, 1989) .الإدمان على المخدرات في المراهقة يعتبر دفاعا أمام إشكالية فقد المواضيع الداخلية وعمل حداد معلق، فصعوبة الانفصال والهشاشة النرجسية لدى المراهق تدفع به للتبعية للمخدر كطريقة لصد القلق الإكتئابي أو الذهاني الذي ينتج عن مخاوف انهيار الهوية.

إن المراهقين الذين يعانون من إشكالية الانفصال عن المواضيع الطفلية والتي تكمن غالبا وراء التبعية النفسية للمخدرات، فلا بد أن النشاط النزوي لديهم يثير الالتباس أو الاضطراب النفسي، فإن كانت سيرورة المراهقة أصلا تقتضي إعادة تنظيم الروابط النفسية بالمواضيع وإنجاز الحداد ونقل الاستثمارات الجنسية لموضوع جديد، فحتما هي تشكل تهديد للتوازن النفسي للمراهق المدمن. وتكون النوازع الجنسية بمثابة اختراق لعالمه الداخلي والهجوم على روابطه الطفلية وتهديد لنظامه النفسي القائم على اقتصاد التبيعة، لذلك يتم رفض أو استبعاد ذلك الجسد مصدر هذه النوازع، عن سيرورة الإدماج النفسي، وتستنفر الدفاعات النفسية التي تستبقي هذا الجسد كموضوع غريب يتم فيه إسقاط تصورات القلق الاضطهادي أو التقطيع الجسدي. وعليه، يصعب استدخال الصورة الجسدية واستكمال بناء أو توحيد أجزاء الذات، بحيث يولد الشعور بالاكتمال النرجسي وبحدود الهوية الشخصية.

إذن المراهق المدمن يعيش باستمرار تحت ضغوط نزوية وعودة المخاوف الداخلية الدائمة، لذلك قد يظل في وضعية صراعية يقاوم فيها إدماج صورة الجسد الجديدة، ويظل شعوره بهويته غير كامل أو منقوص، فتبقى أجزاء مهمة منفصلة نسبيا وغير مرصنة،فتشكل مصدر للشعور بغياب الحدود الشخصية أو لحالة التباس نزوي يستعجل الدفاعات البدائية كالانشطار أو إنكار الجسد حيث يصبح موضوع غريب تسقط عليه كل التصورات البدائية والانفعالات الرهيبة،ولا يجد المراهق مخرجا منها إلا بالتمسك بالمخدرات كموضوع خارجي لتخفيض القلق الاكتئابي أو لمقاومة التقطيع الجسدي أو قلق اختراق الجسد الناتج عن تمثل الخطر الجنسي المدمر للوحدة النفسية. وعليه، إشكالية الدراسة تتناول التساؤل التالي: هل يعزز الإدمان على المخدرات لدى المراهقين المدمنين عمل الدفاع أمام المخاوف التي تستهدف بناء الهوية؟

وفرضيات البحث تكون على الشكل التالي:

-يعاني المراهقون المدمنون على المخدرات من مخاوف جنسية و/أو نرجسية تستهدف بناء الهوية.

-يعزز الإدمان على المخدرات لدى هؤلاء المراهقين الدفاع أمام هذه المخاوف الجنسية و/أو نرجسية

- **المفاهيم الإجرائية:**

1-الهوية: خبرة ذاتية تنتج عن الشعور بامتلاك الذات وبالثبات وبالديمومة النفسية. ونتناول دراسة الهوية في الرورشاخ من خلال التقمصات والنشاط الدينامي الذي يتخللها ونوعية الصراعات، في إطار تصورات العلاقة بالموضوع التي يستدعيها المحتوى الكامن للوحات الرائز، هذا إلى جانب نوعية الحدود والتي تستخرج من أشكال الاجابات والمحددات الحسية خاصة

2-المخاوف الجنسية و/أو النرجسية : تلك التصورات المتعلقة بإشكالية الفقدان والتي تخللت النمو الجنسي للشخص. وفي هذه الدراسة، تتمثل في التصورات الدالة على القلق الاكتئابي أو الاضطهادي، والتي تثيرها النوازع الجنسية للمراهقة و/ أو عودة التصورات القديمة لقلق الانفصال، للتقطيع الجسدي، لانهيار الوحدة النفسية، لتدمير حدود الهوية، وتتمثل هذه المخاوف في الوضعية الاسقاطية للرورشاخ من خلال الإجابات التي تدل على مخاطر اختراق حدود الجسد و/أو التهديد بتدميره أو غرابته أو تشويهه.

3-الإدمان على المخدرات: يعني تلك التبعية النفسية لاستهلاك المخدر ("الشيرا" في أغلب حالات مجموعة البحث)، والتي تنشأ منذ الطفولة أو منذ بداية البلوغ وتتواصل في المراهقة، بحيث لا يستطيع المراهق التخلي عن المخدر.

1.1. الإدمان في التحليل النفسي.

اهتم التحليل النفسي بالدوافع اللاشعورية للإدمان، واعتبر فرويد (Freud) أن للمخدر وظيفة نفسية اقتصادية، فهو يسمح للمدمن على تعاطيه بتجنب خبرة المعاناة النفسية و"التخلص من ثقل الواقع والاحتماء في عالم خاص يحتفظ بأفضل الظروف للحساسية"(ascited in Pages-Berthier, 1993, p.3). ويرى لا كان (Lacan) أن الإدمان عرض يغطي صعوبة بناء الذات في الواقع وأنه "محاولة الشخص لإحداث قطيعة مع مكانته كموضوع ضمن الواقع، وفي الوقت نفسه هو محاولة لتغطية غياب بعد الرغبة لدى الشخص و ملء الشعور بالفراغ."

(as cited in Pages-Berthier,1993,p.5.)أما رادو(Rado)في لحق بالإدمان وظيفة تحقيق لذة الشبق الذاتي النشط في المرحلة الفمية من النمو،حيث أن المدمن يواجه الاكتئاب البدائي، وتناول المخدر يلعب دور "الدرع ضد المعاناة" ويستبقي للشخص هوام كلية القدرة النرجسية البدائية، لذلك فهو يختبر تحت تأثير المخدر إحساسا بالحصانة من أي جرح وبعدم الفناء. ويرى سيمال (Simmel) في الإدمان عصابا نرجسيا، حيث يعوض الجسد وظيفة الجهاز النفسي غير المستخدم لدى الشخص. كما يشكل الإدمان دفاعا ضد الميلانخوليا باعتباره يثير حالة "هوس اصطناعي" يحقق هوام الالتحام بالأم، حتى وإن عارض ذلك مبد الحفاظ على الذات. أما جلوفر (Glover)فيعتقد أن للإدمان وظيفة الحفاظ على الحياة، فيقول أن:"الإدمان بديل هام عن الانتحار بل يمكن أيضا أن يعترضه، فهو طريقة لاستبقاء حياة الشخص والدفاع ضد الاكتئاب أو السيرورات الذهانية:الإدمان ينشط كحماية ضد استجابة ذهانية في حالات النكوص". (ascited in Pages-Berthier, 1993, p.3)ويضيفجلوفر أن المدمنين يمثلون فئة الحالات البينية. ويربط روزنفيلد (Rosenfeld)بين الإدمان والاضطراب الهوسي– الاكتئابي. فتعاطي المخدر يعزز الدفاع ضد القلق الاضطهاد والنزوات السادية. أماغاميل (Gammil) فيؤكد على أهمية السادية في المرحلة المبكرة من النمو الليبيدي. وبحكم تنشيط الميكانيزمات الفصامية، فان المخدر يحتل تماما مكانة العلاقة بالموضوع ويغطي إشكالية الفقدان.(ascited in Pages-Berthier, 1993, p.4)

إن كانت التفسيرات السيكودينامية الكلاسيكية تعتبر الإدمان ظاهرة للنكوص إلى المرحلة الفمية، فالتفسيرات المعاصرة تنوعت في توضيح علاقة الإدمان بالحياة الجنسية، ومن بينها يرى جابار (Gabbar)أنه شكل من الدفاع أمام النوازع الجنسية المثلية، بينما يؤكد باندينا (Bandina) على نقص في وظائف الأنا لدى الشخص يدفع به للإدمان على المخدر. (ascited in Laforce & Tracy, 1998, p.217)ويعود بيرجوري(Bergeret)للتأكيد على فكرة النكوص النزوي للمرحلة الفمية، إلى جانب نقائص في النماذج الوالدية التي لا تغذي بشكل ملائم البنى الخيالية التناسلية لدى الطفل، حيث يشعر بالإهمال والضعف والتناقض لأن الوالدين عاجزين عن مساعدته. وبحكم هذه النقائص وعدم النضج، يصبح من الصعب على الطفل منافسة الراشدين والدخول في الحلقة الأوديبية وتطوير تقمصات أفضل. فالتطور الليبيدي يتعطل وإدماج نوازع الحياة والموت غير ممكنو خبرة الشبق الذاتي البدائي ليست ناجحة، ويبقى المسلك الوحيد التدمير الذاتي من خلال الإدمان والتعلق بنماذج مثالية خارجية فاشلة أيضا".

(ascited in Laforce & Tracy, 1998, p.224) أما أوليفنستاين (Olivenstein) فقد حدد جملة من الخصائص النفسية تميز المدمن منها :الهجاسية، الذهانية، الهذائية-الإكتئابية، الجنسية المثلية. ولتفسير الإدمان، يؤكد على حصول انكسار في صورة الذات في مرحلة المرآة، حيث يتجه الطفل للبحث عن إعادة بناء وحدة هويته. فيتابع المدمن بحثه عن المتعة بشكل اضطراري

لتغطية القلق، الشك،عدم الاستقرار وثغرة النقص. وعندما تنهار هوامات الطفل أمام الواقع، ويتضاعف الشعور بالخجل والذنب لدى المراهق، يتجه للمخدر الذي يستعيد به من جديد، هوام الاكتمال الذاتي (ascited in Laforce & Tracy, 1998, p.225).

و من بين التفسيرات المعاصرة التي تناولت مشكلة الإدمان في المراهقة، نذكر ما طرحه كل من براكوني و مارسيلي (Marcelli&Braconnier,2008) حول التبعية النفسية للمخدر، فهي تعكس مواطن الهشاشة في سيرورة المراهقة : "أهمية المرور للفعل، النكوص النزوي، إشكالية التقمصات".(p.400) و يذكران توضيحا لجييومان (Guillaumin) حول النقاط التي تنتظم حولها الإشكالية العميقة للمراهقة و للإدمان : خبرة الحداد في المراهقة تقود للبحث عن "مثيرات خارجية حاملة للمتعة" تلغي عمل الحداد؛ الصدمة النفسية و القلق اللذان يحرضان على المخدر الذي يعمل على التكرار المزمن للصدمة؛ ومسألة الهوية المقلقة التي تطرح في المراهقة وتعد أصل البحث عن التمايز الجذري، حيث المخدر يظهر كوسيلة للدفاع أمام انفصال و تفرد جديد، أو أمام ميلاد جديد ومربع(Marcelli&Braconnier, 2008, p.400).

أوضح ماكدوقال (McDougall) أن في السير الإدمانية توجد نقائص الدعم الأمومي التي لا تسمح بإرصان سيرورة الانفصال، حيث يختبر الموضوع الأمومي الداخلي على أنه غائب أو عاجز عن مواساة الطفل المضطرب. إن اقتصاد الإدمان يهدف للتفريغ الفوري للتوتر النفسي: القلق العصابي، القلق الذهاني، قلق التفكك. وسجل كل من جيمي وكركوس (Jeammet&Corcos) وبروسي(Brusset) علاقة بين الإدمان والاختلالات النرجسية واضطراب الهوية، مع محاولة التحكم والدفاع عن حدود الأنا. والإدمان محاولة أمثلة وتعلق بالواقع الخارجي وبالعالم المحسوس لتعويض فشل العالم الداخلي والتحقيق الهلوسيللرغبة، وذلك لتنصيب دفاع مضاد للنزعة التدميرية الداخلية. إن نقائص القواعد النرجسية تضع الشخص الخاضع للنزوة في قلق من التبعية للموضوع الليبيدي الذي يمثل خطرا بالنسبة للانا. ويعتقد كوركوسوجيمي أن الإدمان "وسيلة لاحتواء علاقة تبعية لموضوع وللحفاظ علىمسافة نرجسية-موضوعية آمنة كفاية". (ascited inPedinielli& Bonnet, 2008, p.47) أما بروسي من جهته، فيؤكد أن سيرة الإدمان تمثل محاولة للانسلاخ من التبعية العاطفية للمواضيع الليبيدية. وفي نفس الوقت، تحرض على شكل آخر من التبعية يحقق سيرورة مغلقة.ويدافع كل من بيدينيالي (Pedinielli) وبوني (Bonnet) عن فكرة أن الإدمان عبارة عن "محاولة للتخرج من وضعية ارتهان نفسي للموضوع، لتجنب الانقياد للآخر وللهروب من التبعية المستعبدة، من أجل بناء الوضعية الذاتية. كما أن هذه التبعية للمخدر تمثل محاولة إنكار رغبة الآخر التي ترغم الشخص للخضوع والامتثال غير محتمل، كونه يثير قلق الالتهام، نزيف نرجسي أو تدمير لهوام كلية القدرة."(Pedinielli& Bonnet, 2008, pp.48-49)

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا طرحنا مشكلة الإدمان على المخدرات لدى المراهقين على ضوء نظرية الاقتصاد النفسي، وكذا نوعية العلاقات الأولية بالموضوع البدائي: فبالرغم من أن الطفل لم يسعفه الحظ في التعلق بأم "جيدة كفاية" على حد قول وينيكوت (Winnicott)، فربما ساهم المحيطين به من المقربين أو الجيران، في تضميد جروحه النرجسية، من خلال تطوير علاقات إيجابية (في الحي، في المسجد، في المدرسة، في النوادي الرياضية، ...). كما أن احتفاظ الجهاز العقلي بالقدرة على إيجاد تسوية للصراع النفسي واستعادة التوازن النفسي، وإن كان على حساب تطوير أعراض نفسية، ذلك يعرضه لأقل الأضرار من الاجتياح الصدمي أو تخريب دفاعاته عن الحدود الشخصية. وتتوقف استماتة الدفاع النفسي عن حدود الهوية على طبيعة الصدمات المبكرة وعلى نوعية بناء المحور النرجسي المركزي للهوية. لذلك فالتبعية للمخدرات تعد من الوسائل الدفاعية الثانوية التي تضاعف المقاومة النفسية حيال الإشكاليات النفسية التي يعلق فيها المراهق.

2.الطريقة والأداة.

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج العيادي الذي يعتبر طريقة لبناء معرفة عن التوظيف النفسي للحالة أو بعض قطاعاته المعرفية كالقدرات أو السلوكات (Fernandez & Pedinielli,2006) بهدف البحث، التشخيص أو العلاج. وخصوصية هذا المنهج تتمثل في إدماج كل المعطيات ضمن الدينامية النفسية للحالة. وجمع المعطيات في المنهج العيادي، يتم على أساس إجراء تقنيات محددة لغرض البحث (روائز، سلالم، مقابلات)، خصوصا إذا تعلق الأمر بمشكلة معينة لدى الحالة (كما هو الحال بالنسبة لهذه الدراسة)، و/أو القيام بدراسة معمقة للحالة بغرض الفهم الشامل للحالة، وهو ما يقتضيه البحث بالضرورة حول الظواهر السيكوباتولجية أو التكيفية، ضمن الوضعيات العيادية (Fernandez &Pedinielli, 2006) .

1.2.مجموعة البحث وأداته: تضمنت مجموعة البحث أربعة مراهقين مدمنين على المخدرات تتراوح أعمارهم ما بين 18 و25 سنة. وفي إطار المنهج العيادي، استخدمنا المقابلة العيادية بهدف جمع بيانات (شخصية أسرية، مدرسية، مهنية) وطبقنا رائز الرورشاخ، باعتباره أدق أداة للبحث في إشكالية الهوية حيث يكشف طبيعة الصراعات النفسية الطفلية منها (المرتبطة بالعلاقة المبكرة بالأم وبالحلقة الأوديبية)، والراهنة التي تخص صعوبات الإدماج النفسي للجسد الجديد بمعالمه الجنسية و/أو الجنسية، والتي قد تعيق تحقيق التوازن النفسي واستقرار الشعور بالهوية .

2.2.كيفية تحليل بروتوكولات الرورشاخ: إجرائيا، تحليل بروتوكولات المراهقين المدمنين تم على أساس تناول الإجابات لوحة بلوحة، على ضوء الاستدعاءات الكامنة لكل واحدة على حدى. هذه الكيفية في تحليل الرورشاخ لا تختلف عن الصيغة المنظمة الكلاسيكية، حيث يفحص فيها الباحث في علم النفس أو المختص المعالج، أنماط تناول الواقع وتحليل الدينامية النفسية بما فيها من عوامل تنقيط حسية وحركية توضح نوعية الصراعات والمخاوف النفسية لدى الحالة. ومع مراعاة ما سبق، يتم تحليل الإجابات عند لوحات الرائز الواحدة تلوى الأخرى، على أساس توضيح طريقة الحالة في بناء إجابة تعبر عن نوعية الصراعات والمخاوف النشطة لديها، إلى جانب تحديد أساليبها الدفاعية في مواجهة أهم إشكاليات النمو النفسي في الطفولة، والتي غالبا ما يعاد تنشيط التصورات المرتبطة بها خلال الوضعية الإسقاطية.إن الاهتمام بطرق الحالة في تسيير الوضعيات المقلقة أمام هذه الاستدعاءات اللاشعورية الجنسية و/أو ما قبل الجنسية، يسمح لنا بالتماس صعوبات بناء قواعد الهوية لدى الحالة، على اعتبار أنها نتاج تكوين نفسي-جنسي يبدء منذ إرصان التقمصات الأولية بالأم، وتتواصل مع تنشيط النوازع الجنسية للمراهقة إلى غاية استقرارها في مرحلة الرشد

و البحث إذن في إشكالية الهوية لدى المراهقين المدمنين يتم على أساس فحص استجاباتهم أمام الإيحاءات الكامنة للوحات الرورشاخ، والتي تتمثل إجمالا فيما يلي: طريقة تناول الموضوع الاولي (اللوحةI) ؛ قلق الخصاء و/أو فقدان الموضوع (اللوحةII) ؛ التقمصات الجنسية (اللوحة III)؛ تصورات للسلطة الوالدية و الأنا الأعلى (اللوحة IV)؛ النرجسية والهوية (اللوحة V)؛ تصورات الثنائية الجنسية (اللوحة VI)؛ التصورات الأنثوية و/أو الأمومية(اللوحة VII)؛ الانفتاح على مثيرات العالم الخارجي (اللوحة VIII)؛ نوعية الحدود بين الداخل/ الخارج ؛ تصورات العلاقة المبكرة (اللوحة XI)؛ وأخيرا لوحة الانفصال و التفرد(اللوحةX).

أما بالنسبة للمؤشرات التي نستند إليها في تحليل الهوية في بروتوكولات المراهقين المدمنين، فتجدر الإشارة إلى أنه بالنظر إلى صغر حجم مجموعة البحث (أربع حالات)، يصعب استخراج مؤشرات لشبكة تحليل الهوية في الرورشاخ، تكون موثوقة و قابلة للتعميم على عينات واسعة من المراهقين المدمنين على المخدرات،غير أننا ارتأينا إجراء هذا التحليل على أساس نوعية التقمصات ونوعية العلاقة بالمواضيع: فالتقمصات التي تم إرصانها تمثل وضعية الشخص أمام الآخرين، كما تعد مصدر الشعور بالاستمرارية النفسية، وهي نتاج دينامية نفسية صراعية ذات طابع نرجسي و/أو جنسي تتضمن الخبرات السابقة

للنمو النفسي في الطفولة، إلى جانب التطورات اللاحقة الهادفة لتجسيد مثال الأنا وتحقيق مكانة الرشد. ونبحث في بروتوكولات المراهقين المدمنين عن كيفية إرصان هذه التقمصات التي يستمد منها المراهق هويته، في خضم الدينامية الصراعية للمراهقة التي تعمل بشكل مكثف لإعادة صياغة الهوية وتحديد مواضيع الاستثمار الملائمة للرشد: إن كانت تقمصات نرجسية جيدة النوعية أم دفاعية أمام النوازع الجنسية، إن كانت تمثل استثمار جيد للذات بوجود التصورات الجنسية مدمجة و واضحة، إن كان هناك تصورات لعلاقات بمواضيع تستثير آليات دفاعية معينة، إن كانت هناك مخاوف داخلية أو خارجية تهدد استقرار هذه التقمصات بالتدمير أو الزوال أو تفكك الوحدة النفسية على نمط ذهاني،.. ما يدعو لوجود خطر انقطاع الشعور بالاستمرارية وتفكك الهوية لدى المراهق المدمن. وعلى هذاالأساس، يفسر معنى التبعية النفسية للمخدرات بما يؤكد الحاجة للدفاع أمام القلق الاكتئابي أو الذهاني الذي يستهدف انهيار الهوية تبعا لفقدان الوضعية الطفلية.

3. النتائج ومناقشتها

1.3.عرض وتحليل بروتوكول الحالة الأولى: علي شاب يبلغ 25 سنة، على مشارف نهاية المراهقة المتأخرة. يحتل المرتبة الثالثة بين 09إخوة (05إناث، 04 ذكور)، في مستوى الرابعة من التعليم المتوسط. لديه علاقة متوترة بوالديه لكنه يشعر بالتقرب أكثر من أمه. أبوه متقاعد، وعلي يلومه على عدم اهتمامه بدراسته عندما كان طفلا. في طفولته كان كثير الشغب، وقد كاد أن ينتحر بسكين في سن السابعة لو لم تنقذه أمه، وكرر محاولة الانتحار بعد ذلك بإلقاء نفسه من الشرفة، فأنقذه أخوه من الموت. تعاطى المخدرات("الشيرا") دون أن يشعر بالتبعية لها، مع جماعة من الرفاق اتخذها كعائلة له، حيث كان يشعر بالراحة التي يفتقدها في أسرته. سافر إلى إيطاليا عندما بلغ 20 سنة، وبقي فيها 3 سنوات ثم عاد إلى الجزائر. لم يستقر في عمله بشركة وطنية نظرا لعصبيته وميوله للمعارضة في الوسط المهني. ليست لديه علاقات مستقرة بالجنس الآخر، يمل الروابط المستديمة بسرعة. حاليا يعمل بصفة مؤقتة في إطار جمعية وطنية .

بروتوكول الحالة الاولى: علي 25 سنة

رقم اللوحة	زمن الكمون	الإجابة	التحقيق	تنقيط الإجابة
I	"05	خفاش. حاجة مليحة. أتفكرني في الليل فيهles mauvaises expérience17"	G	صدمة اللون الأسود G Fclob A
II	08"	"10 Aucune idée"	Non	رفض
III	06"	"08 Aucune idée"	والو	رفض
IV	09"	" فكرتني في حاجة بزافـmauvaise.واش هذا الحاجة ماعلابالیش17"	G	صدمة اللون الأسود G Fclob/ Abstr
V	"05	حاجة مليحة. فراشة. أتفكرني بالربيع10"	G	G CF+A Ban/Abstr
VI	07"	" 09Non aucune idée	Non	رفض
VII	06"	"08Non	لا والو	رفض
VIII	07"	هنا واش إحباقولهCouple؟ زوج سنجاب11"	راهم يلعبوا باش يتلاقاو/	D Kan A Ban
IX	"06	"08 Toujours non	Non	رفض
X	"07	أنكون صريح معاك والو10"	والو	رفض

Epreuve des choix : ***-Choix positif :***Pl.V: حاجة مليحة فراشة. ...؟..

-Choix négatif : Pl. IV: حاجة ماشي مليحة. ؟..

Psychogramme :

R= 04 G = 03 G% =75 % F+ =01 F % =25 % F^{+} % = 100%

D = 01 D% = 25% CF+ = 01 A = 03 A% =75 %

Ban=02

FClob=02 Choc=02

Tps./réponse =27″ Kan= 02 Refus = 06

Tps.lat.moyen =16,5″

T.Appr. : G D T.R.I. : 0 K = 0,5 C (Type Extratensif pur) RC% = 25%

إن الإنتاج الإسقاطي لعلي ضعيف جدا (R=03) فقد اقتصرت إجاباته على ثلاث لوحات (I,V,VIII)،من اختبار الرورشاخ، وتم الرفض المباشر للوحات (II , III, IV, VI ,VII, IX, X) ، بينما اكتفى علي بتسجيل انطباع حصري عند لوحة السلطة الوالدية المانعة(IV) .مجمل الإجابات المقدمة تقع في بقع كلية (G= 02 ; D=01) وذات محتوى حيوان(A= 03) ، وهي تشير إلى تجنب الاستثارات النفسية التي تبعث إليها الإشكاليات الكامنة للوحات، كما توضح أهمية التمسك بالمواضيع الخارجية للدفاع أمام اختراق تصورات صراعية من شأنها إثارة قلق داخلي يصعب احتواؤه. وبداية، يظهر أن علي شخص يتجنب مواجهة عالمه الداخلي أو مواجهة ذاته، نظرا للصراعات النفسية صعبة الإرصان العقلي. الميل أو الهروب للعالم الخارجي بحثا عن مواضيع اهتمام أو إثارة تصرفه عن عالمه الداخلي، وتساعده في تكثيف الدفاع ضد القلق أو الشعور بالإحباط. عموما، رصد هذا الموقف ضمن الوضعية الإسقاطية، يكشف نفس أسلوب الحياة لدى علي وطريقته في مواجهة الوضعيات الجديدة المقلقة، ويطرح في النهاية، افتراض حول الوظيفة الدفاعية لتبعيته للمخدرات.

الإجابة عند اللوحة (I) كلية :("خفاش. حاجة مليحة. أتفكرني في الليل في les mauvaises expériences"(صدمة اللون الأسود:GFclobA)،انطبعت بتناقض وجداني فوري، حيث انقلبت التصورات الانفعالية "الجيدة"إلى نقيضها واستدعت سلسلة من الخبرات "السيئة". شكليا،هذه إجابة تتضمن تناقضا في حركات الحب والكراهية اتجاه الموضوع الأول في الحياة (الصورة الأمومية البدائية)، على غرار العلاقة المتناقضة بالثدي 'الجيد" وبالثدي " السيئ". لكن في الوقت ذاته، هي لوحة مرغوبة تمثل "مكانا" وزمانا مناسبين للنكوص لصورة الأم الداخلية التي توفر الاستماع والتفهم والاحتواء. هذه احتياجات نكوصية يبحث عنها علي وترتبط بحضور الأم المثالية التي تحتويه، وتسمح حينئذ بإدماج رواية المبحوث من البداية بما تحتويه من خبرات مؤلمة وإحباطات أولية فمية بالدرجة الأولى. نسجل عند هذه اللوحة تدفق هام في التصورات الانفعالية المؤلمة، تتصل بمعاش اكتئابي مبكر للعلاقة بالأم القديمة، لذلك يبدو الغلاف النفسي لعلي شديد التأثر وذو قابلية للانطباع السريع بالاستثارات النفسية الداخلية أو الخارجية، نظرا لفقر الأنا من الدفاعات العقلية المتنوعة. وتأتي الإجابة عند اللوحة (VI)لتؤكد ثانية هذه القابلية للانطباع السلبي، إذ استدعت الصور الأبوية المانعة تصورات انفعالية مكثفة تجاوزت إمكانية صياغتها الرمزية(فكرتني في حاجة بزاف .mauvaiseواش هذا الحاجة ماعلابالیش(صدمة اللون الأسود G) . (FClobAbstrبالنظر إلى الدلالة الكامنة للوحة، فقد أثارت شعورا بالذنب مكثف استدعى إسقاط النوازع العدوانية العنيفة خارج الفضاء النفسي، دفاعا على نمط بدائي يقصي الموضوع السيئ خارجا على أمل التخلص أو القضاء عليه، لكنه يعود باستمرار ليثير قلق الاضطهاد. نفهم أن العلاقة الداخلية بسلطة الأنا الأعلى تكتسي طابع الاجتياح المهول للحياة النفسية، يهدد استقرار الهوية لدى علي. قد تستتبع هذه العلاقة المانعة عمل انشطار الأنا لاستبعاد عودة الصور الأبوية السادية وخطر تفكك الذات. وجود هذه المسافة العدائية الفاصلة بين الأنا والسلطة الأبوية يؤكد على الصراع المتواصل ضد حداد الرغبة

المحرمة، وعدم القدرة على إيجاد تسوية تسمح بالتخرج منها بصورة تحقق التوازن النفسي أو تخفيف المعاناة النرجسية. لذلك يتبين أنه حيال خبرات الحياة الجارحة يعتبر نمط الاستجابة العام لدى علي عنيفا في الاتجاهين (ضد الآخر وضد الذات أيضا)، تناسبا مع مقدار معاناته من إشكالية الفقدان والإحباط في بداية حياته .

المرور إلى إجابة جيدة النوعية عند اللوحة (V): "حاجة مليحة. فراشة. أتفكرني بالربيع (G CF+A Ban /Abstrait) يحمل دلالة دفاعية، فقد حققعلي نقلة أكيدة من وضعية القلق و الصراع الداخلي إلى التمسك بموضوع خارجي يحقق الشعور بالأمن النفسي، إضافة إلى التكيف مع الواقع. هذه النقلة تمت عن طريق الهروب نحو موضوع من الواقع المحسوس، أضفى لدى علي بلمسة خيالية استبعدته عن الصراع الداخلي، فأصبح الواقع الخارجي يمثل إطارا يحتفظ بإيحاءات طفلية تصور الصلة بعالم مثالي، لا وجود فيه لعناصر القلق أو الاكتئاب، ما يشير إلى أهمية الواقع الخارجي ومواضيعه الإيجابية في استجلاب اهتمام علي. ويعد استعداده واضحا في استثمار بدائل أو مواضيع ملموسة تمكنه من مقاومة الاكتئاب. لذلك تكون حدود الهوية مستقرة لديه بقدر رصد الدفاع بالواقع أمام التصورات الداخلية المهددة بانهيار الذات. وآخر إجابة قدمت عند لوحة الانفتاح على المثيرات الخارجية (VIII) جاءت لتؤكد على تنشيط الحركات النزوية التي تراجعت فور تنصيب دفاع الإنكار ("هنا واش أحب إقولCouple؟ زوج سنجاب. D Kan A Ban) وتعديل الإجابة بعد الإلغاء نتج عن الشعور بالذنب جراء النشاط النزوي الجنسي. إن الاستثمارات الجنسية محل نزاع داخلي، كون أن التقمصات اللاشعورية و الصراعية الأوديبية لم تحسم بعد ولم تتهيأ العمليات العقلية الدفاعية بعد لبناء الهوية الجنسية المستقلة على إثر حداد المواضيع الطفلية المحرمة.

من الواضح أن صعوبة علي في تنصيب حدود الهوية في اختبار الرورشاخ وثيقة الصلة بالإشكالية الجنسية و مسألة تحديد الرغبة: رفض اللوحات ذات الدلالات الليبيدية-العدوانية والتي تثير مخاوف الخصاء و/أو الهشاشة النرجسية، أو عودة التصورات المؤلمة للعلاقة الأمومية المبكرة، بينما حدث انتقال لمواضيع خارجية سجلنا فيها ارتياح نفسي لدى علي، كل ذلك يعني أن النشاط النفسي يتجه لتحقيق الدفاع عن الوضعية الذاتية من خلال التخلي عن تمثيل الهوية الجنسية و تجنب العالم الداخلي مع التمسك بمواضيع التبعية الخارجية (المخدر) التي تصد خطر الانهيار الاكتئابي. وخبرة الهلوسة باستهلاك المخدر تعطل سيرورات التفكير التدميري للذات و/أو الآخر، وتضمن تفريغ شحنات القلق الاكتئابي المكثف في الحياة النفسية لعلي. كما أن هناك تراجع عن بناء الهوية الجنسية نظرا لتكثيف الشعور بالذنب، وأن حركات العنف النفسي الذي ترتبت عن هذا التراجع اجتاحت العالم الداخلي لعلي لمقاومة عمل الحداد المطلوب في حياة كل شخص يقبل على بناء وضعية الراشد المستقل والمسؤول عن نفسه. وجود توترات في الوسط الأسري وخاصة تصورات لعلاقة صراعية مع الأب منذ أن كان علي طفلا، لم يشجع حركة الاستقلالية و الاتجاه نحو حداد الماضي، كما قيد علي في الذنب اللاشعوري و استثار العنف النفسي ضد الذات حيث ظهر من خلال الأفكار الانتحارية، ضعف الثقة في النفس و هشاشة الوضعية النرجسية التي لم تعد تدعم صورة الذات لديه. ذلك ما جعل من التبعية للمخدر مخرجا للهروب من ذاتيته المشحونة بالعنف النفسي، الموجه أساسا ضد الصورة الأبوية المانعة. في النهاية، هو عنف يبقى حبيس الحياة النفسية ويولد القلق الاكتئابي المكثف، ولتجاوزه يستهلك علي المخدر ضد السقوط في الاكتئاب.

2.3.عرض و تحليل بروتوكول الحالة الثانية :

سمير مراهق يبلغ 18 سنة، يحتل المرتبة السادسة بين سبع الإخوة (02 إناث، 05 ذكور).مستواه الدراسي الأولى ثانوي. تعاطى "الشيرا" مع جماعة الرفاق منذ بلوغه 15سنة، كان ذلك بسبب التوترات في الأسرة وبالأخص مع أبيه الذي يصفه بالإهمال واللامبالاة بدراسته إلى أن أقصي من الثانوية. كان يعرف بالعصبية والدخول في المشاجرات مع الأشخاص أكبره سنا. قام بتربص في صناعة الصفيح. وعمل لفترة في إحدى الورشات ثم ترك عمله بسبب صراعه مع مدير الورشة. لم يرتبط في علاقة

بالجنس الآخر نظرا لخجله. حاليا لا يجد عملا ويشعر بفراغ واكتئاب وإنهاك. هو يعاني من أرق في الليل وإن نام تراوده أحيانا بعض الكوابيس. وقد فكر في السفر خارج الوطن لكن تعلقه بأمه وخشيته من أن يحدث لها مكروه جعلاه يعدل عن فكرة السفر.

إن مجمل الإجابات التي قدمها سمير في الرورشاخ تعد قليلة(R=06)وذات نوعية رديئة، إذ تتخللها تصورات إنسانية ذات طابع اكتئابي (KC′ =01 ; Fclob=01) أو اضطهادي (KClob=01) .ويمثل البروتوكول صورة مختزلة عن الصدمة النفسية وعن العلاقات الاتكالية في إطار التفاعل مع الآخرين. بداية، تضمنت اللوحة (I) إجابتين صدميتين (أتسما أتخايلتودم. (GCSang) شفت عباد مذبوحين (صدمة اللون الأسود (GFClobH) استعاد سمير من خلالها تصورات العنف الإرهابي، لكونه كان شاهدا مباشرا على ذبح أصدقاء كان يحبهم، وهو لا يزال يعيش قلقا حادا من السقوط ثانية في وضعية الضحية. كان من الطبيعي بعد عودة ذاكرة الأحداث الدموية أن تثير اللوحات الموالية صدمة عند الألوان (الأسود–الأحمر خصوصا) وقد تم رفض اللوحات الدالة على التصورات الجنسية (II) ، السلطة الوالدية الرادعة للرغبة (IV) ، و التصورات الجنسية الثنائية (VI) ، وأثر الصدمة عند اللوحة الأولى امتد إلى اللوحتين اللونيتين: لوحة الانفتاح على مثيرات العالم الخارجي (VIII) حيث تعرض عمل استثمار المواضيع للكف النفسي، واللوحة الأمومية الدالة على تمايز الحدود النفسية و الجسدية (XI).والتوظيف النفسي لدى سمير يخضع لإحداثيات الصدمة الحقيقية التي شهد فيها تقطيع أصحابه، وهي التي حولت النشاط النفسي إلى الطابع الذهاني، ليس على غرار تنظيمات بدائية بحتة لكن نستشعر من وضعيته الحالية ترصد المخاطر والنظرة السوداوية للعلاقات الاجتماعية. وتكثيف عمل إسقاط العدوانية والمواضيع السيئة على الآخرين أدى إلى تطوير تصورات عدائية وفق مبدأ الفصل بين "الجيد" و" السيئ" على نمط ذهاني. إن الصدمة التي عايشها عرضته إلى تغير نظرته للعلاقة بالآخر وتكثيف الشك أو قلق اضطهاد الآخر والدفاعات الهذائية، حفاظا على وحدة الذات أو المواضيع الداخلية الجيدة. والملاحظ في إجابات اللوحات III) (X ; VII;تكرار تصورات لعلاقة بالمثيل أو بالأقران .من ناحية، تظهر الإجابة عند اللوحة (III):"زوج أصحاب أتفارقوا. إتسما كي إيكون صاحبك امليحمن بعدإيروح عليك (DKC′H)"، واللوحة (VII): "شغل الجبال الطبيعية.اتفكرني في البلاد (GFC′Pays/Abstr)" تمثلان معا عودة تصورات العلاقة بأحد أصحابه من ضحايا الإرهاب، فعمل حداد هؤلاء المفقودين لا زال قائما ويثير الاكتئاب لدى سمير الذي يفتقد في الوقت الراهن لصديقه الذي "تركه وحيدا". من ناحية أخرى، خلفت الصدمة لديه شعورا بالوحدة والقهر، واختفت من حياته النشاطات النفسية التي تدعوه للانفتاح على الآخرين وللمشاركة الاجتماعية (رفض لوحة الانفتاح الاجتماعي)، كما أثارت لديه الصدمة نشاطا مكثفا لإسقاط العنف والعدائية على الآخرين. وقد فقد الثقة في الآخرين جراء اجتياح العنف النفسي لعلاقاته بالمواضيع الداخلية، حتى أصبح يشك في نوايا ومقاصد الآخرين اتجاهه. وأصبح نسيج العلاقات الاجتماعية لسمير تتخلله التصورات الهذائية أو العدائية التي يحتفظ بها للدفاع عن حدوده من المخاطر المحتملة من الغير. ويظل المخدر ممثل للموضوع الذي يخفف من حدة القلق الداخلي ومن نشاط المعاش الصدمي الذي خرب الاستثمارات الجنسية الملائمة لبناء الهوية .

بروتوكول الحالة الثانية: سمير18 سنة

رقم اللوحة	زمن الكمون	الإجابة	التحقيق	تنقيط الإجابة
I	"08	أتسما أتخايلتودم. شفت عباد مذبوحين14"	G G	GFClobH/صدمة للون الأسود GCSang
II	′05	والو	رفض	صدمة اللون الأحمر
III	"10	زوج اصحاب اتفارقوا. إتسما كي ايكون صاحبك امليحمنبعدإيروح عليك "20	D/G	D/GKC′H
IV	"09	والو11"	رفض	
V	"08	شغل الجبال الطبيعية.اتفكرني في البلاد15"	G	GFC′Pays/Abstr

VI	"09	"12	رفض	
VII	"07	شغل أصحابي لى عزيز علي13"	D	DF+H
VIII	"08	والو10"	رفض	
IX	"06	كيف كيف والو08"	رفض	
X	"09	شغل جماعة مايحبولكشالخير إجيبولك الش16"	G	GKClobH

euve des choix : -Choix positif : *Pl.VI: .. عجبتني برك..؟..*

Pl.VIII:زوج اصحاب هذا ايحب هذا واحد يرفد لآخر..؟..

oix négatif : *Pl. I..؟...تع الدم كين عباد نعرفهم اصحابي انحيهم،ذبحوهوم كين ألي شفتهم،نتقلقكيمنفكرهوم..؟..*

Pl. X" شغل جماعة مايحبولكشالخيركاين جيراني نكرهومبزافحسادين..؟..

Psychogramme :

R= 06 G = 05 G% = 83 % F+ =01 F % =16,66 % F+ % =100 %

D = 01 D% = 16,66% H=03

Kclob=01 FC'=01 Sang=02 H% =50%

Fclob=01 C=01 Refus = 05

Tps./réponse =19,8" K= 01 KC'=01 Pays=01 Abstr=01

Tps.lat.moyen =13, 16"

T.Appr. : G D T.R.I. : 02 K = 03,5 C (Type Extratensif mixte) RC% = 16,66 %

يتضح من بروتوكول سمير أنه اختفت من حياته النفسية الاستثمارات الليبيدية والصراعات من أجل موضوع الرغبة. وأصبح السير النفسي لديه مطبوع بالصبغة الهذائية دفاعا أمام العنف النفسي المتوقع من الغير، وبالأحرى العنف الذي أسقط خارج الحياة النفسية على العلاقات الاجتماعية. المخدر عزاء وحيد من قلق البقاء وحيدا، ودفاع أمام إشكالية الفقد والاكتئاب. إن الهشاشة النرجسية والحاجة للعلاقات الاعتمادية من أجل تماسك الشعور بالهوية جعل سمير يلجا للجماعة وللمخدرات، على غرار تأكيد علاقات مرآوية أو اعتمادية، لتهدئة القلق المهدد بانهيار نرجسي. هو يعاني من قلق صدمي مفكك للهوية ويستعين بنماذج التقمصات التي توفره الجماعة لتأكيد شعوره بالهوية، ويلجأ لعزل الاستثمارات النفسية ذات الطابع الجنسي واستبدالها بالتعلق أو التبعية للمخدر من أجل الشعور بالاستمرارية النفسية. هذا التوظيف الصدمي تراجعت وراءه الدينامية الجنسية من أجل الحفاظ على الوحدة النفسية من خطر الانهيار السوداوي. كما يعاني من قلق فقدان الأم (بحكم توعكها الصحي) ونقص دعمها، وهو ما يفتح المجال لديه لتضاعف خطر الانهيار الاكتئابي الحاد .

إن الحياة النفسية لدى سمير خاضعة لأثر الصدمة، حيث أدت إلى حذف الاستثمارات النفسية للمواضيع وإحالة نشاط التقمصات للكف النفسي، وغياب تصورات لعلاقة بالمواضيع الليبيدية–العدوانية، كما أثارت مخاوف من عدم تماسك الهوية خصوصا وأن عالمه الداخلي مشحون بالتصورات المقلقة، مع ضعف تحويلها الرمزي (بالنظر لعدد رفض لوحات الرائز)، وفائض النزوات الصدمية غير المرصنة عقليا يهدد بتدمير حدود الهوية

3.3 .عرض و تحليل بروتوكول الحالة الثالثة:

مراد مراهق يبلغ 19 سنة، يحتل المرتبة الثانية بين خمسة إخوة (02 إناث؛ 03 ذكور).مستواه الدراسي الثالثة ثانوي. بدء تعاطي المخدرات مع جماعة الرفاق منذ أن بلغ 16 سنة. كان ذلك يتزامن مع وجود توترات حادة بينه وبين أمه التي استحوذت على السلطة في البيت، وتتجاوز دور الأب الذي يبدو ضعيفا أمام أبنائه. يصف مراد أمه بالقسوة وعدم التفهم مع أنها كانت حريصة على دراسته، لكن أسلوبها العنيف في التربية جعل مراد يزداد كراهية لها ولكل النماذج الأنثوية. حتى أنه لم يرتبط عاطفيا بالجنس الآخر إلى غاية هذا السن. ويصف النساء عموما "بالمتوحشات". حاول الانتحار أكثر من مرة بقطع الشرايين أو تناول الأقراص الدوائية.وتمت المحاولة الأولى عندما بلغ 17 سنة إثر انهيار اكتئابي حاد وشعور باليأس من الحياة. تراوده

كوابيس يتعرض فيها لحوادث مميتة. لم يعد يستطيع الإقلاع عن إدمان المخدرات. وصحيا، أصبح يعاني من حالة إنهاك عام والشعور بالملل وفقدان الرغبة في الحياة.

يحتويبروتوكول مراد على أربع إجابات (R=04) كلها وردت في مواقع كلية (G=04) بعضها مبتذل (Ban=02) وتدل على الحاجة للدفاع بدل التورط في الاستثمارات النفسية الممتعة. وأفضل اللوحات بالنسبة لمراد، اللوحة (I) التي تمثل الوضعية الدفاعية التي يتقمصها غالبا في الواقع وأمام الآخر (masque noir GblFC'Obj) ، فتعني أنه يعيش مخاوف واضحة في صلته بالآخرين، منها ما هو إسقاط ذاتي ومنها ما هو موضوعي، لذلك مراد يفضل "التخفي" وراء قناع حتى لا يتعرض لمخاطر يتوقعها من الغير. من الواضح أيضا أن البحث عن الوضعيات الدفاعية يشكل أولوية النشاط النفسي لديه، بينما تتراجع التلقائية والثقة في الذات وفي الآخرين، باعتبار أنها لا شعوريا قد تثير رغبة المعتدي. وتأتي اللوحة (IV) لتؤكد تصوراته للمواضيع الخوافية المهددة بتدمير الحدود الشخصية أو اختراق العالم الداخلي(" un géant. Un monstre.تخلع. كحلة واتخوف" (GKClobC'H)، والانطباعات الحسية والانفعالية الحادة المصاحبة للإجابة (القلق، الخوف) تؤكد على هشاشة الغلاف النفسي وسهولة اختراقه وأن حدود الهوية ليست متينة. فهو يفتقد لقواعد نرجسية ملائمة تمده بالثقة في الذات والقدرة على حماية نفسه ويبقى في وضعية ترصد المخاطر من مواضيع مثالية ومقتدرة، مثل الطفل الذي يحتاج لمن يحميه من اعتداء الآخر. و يبدو أن نمط الإجابة عند اللوحة (V) و المفضلة أيضا لدى مراد ("فراشة" (في التحقيق: أنحهم..هي حرة (GF+ABan) يحتمل دلال مزدوجة: التكيف مع الواقع، بقدر إمكانية التحرر من المواضيع الداخلية المقلقة. فتطوير التقمصات النفسية من أجل تجنب صور المعتدي أو المضطهد، يعتبر أسلوب حياة لدى مراد الذي يبحث بصعوبة عن كيفية استبعاد القلق الداخلي المستهدف لحدود هويته. وآخر الإجابات وردت عند اللوحة (VI) وهي ذات محتوى مبتذل في المجتمع الجزائري ("هيدوره" GF+Aban)، قدمت لتجنب الاستثارت الكامنة الباعثة إلى الثنائية الجنسية والاختيار التقمصي المفضل،فقلق الخصاء الحاد أو النوازع العدوانية المحولة ضد الذات حالت دون استثمار الحركات الليبيدية، فتم تقمص وضعية سلبية استبعدت فيها التصورات الجنسية لصالح تلفيق إجابة ذات دلالة مشتركة وبعد ثقافي مميز.

بروتوكول الحالة الثالثة: مراد 19 سنة

رقم اللوحة	زمن الكمون	الإجابة	التحقيق	تنقيط الإجابة
I	"10	"06 masque noir	G	GblFC'Obj
II	"10	والو مافهمتهاش 15"	رفض	
III	"11	Rienوالو هاذو واعرين06"	رفض	
IV	"08	un géant...un monstre تخلع. كحلةواتخوف 30"	رفض	GKClobC'H
V	"07	فراشة 15"	G	GF+ABan
VI	"10	هيدوره15"	G	GF+ABan
VII	"06	Non	رفض	
VIII	"05	Non	رفض	
IX	"07	Nom	رفض	
X	"05	Non	رفض	

Epreuve des choix : -Choix positif : *Pl. I:...ماشي انخبي روحي مايعرفونيش... les masques انحب ؟...*

Pl.V:.على الفراشة انحبهم،هيحرة..؟

oix négatif : *Pl. IV: خوفتني ياسر...؟..*

Pls. II, IX, X : "مافهمت فهوم والو امخلطين ماشي واضحين"...؟..

Psychogramme :

R= 04 G = 03 G% =75 % F+=02 F % = 50 % F+ % =100 %

Gbl = 01 Gbl %= 25 A = 02 A% =50 %

Kclob=01 FC'=01 Ban = 02 H=01

C'=01 Refus = 06 H%= 25%

Tps. /réponse =19,5 "

Tps.lat.moyen =13,16"

T.Appr. : G G/bl T.R.I. : 1 K = 2 C (Type extratensif Mixte) RC% =0 %

يتضح أن مجمل إجابات مراد في البروتوكول تكشف عن صورة للذات ضعيفة تفتقد الثقة في نفسها وفي الآخرين، وهي مشحونة بالتوتر، الخوف والقلق من مواجهة عدوان خارجي. ولذلك تم تنصيب الدفاعات الخوافية أو الهذائية لصد المعتدي أو المضطهد. مع التزام وضعية سلبية في الوسط الاجتماعي، فليست لديه الرغبة ولا القدرة على بناء علاقات اجتماعية نظرا لانعدام ثقته في نفسه. كما أن تزايد تصورات مرضية أو "الشكوك" في الآخرين تحجزه عن الثقة فهم فلا يترك مجالا للرغبة في الاحتكاك والتفاعل معهم. يتواجد مراد في حلقة ضيقة للتواصل الاجتماعي(رفض اللوحةVIII) ، فانطواؤه على ذاته يمليه ميكانيزم الإسقاط المكثف للعدوانية على المواضيع الخارجية. وتعود مصادر هذه التصورات العدائية لطبيعة العلاقة المبكرة بالأم والتي لم تسمح باستثمار نوازع الحب المعبئة لنرجسية الطفل. أما تسرب شكوكه في الغير، فهي من إفرازات تنشيط ميكانيزم الإسقاط التقمصي الذي يتمثل المواضيع الخارجية على أنها خطرة أو اضطهادية. بالنسبة لمراد، تشويه إدراك العلاقة بالآخر من نواتج النقائص الأولية في العلاقة المبكرة بالأم: لم تشبع طفلها بالحب الكافي الذي يمنح له الشعور بالأمن القاعدي في كيانه هو، قبل استشعار الثقة والأمن مع الآخرين، فمخاوفه وشكوكه في العلاقات الراهنة هي وليدة الفقر لحب الذات، منذ الطفولة المبكرة. كما أن علاقة مراد بأمه إلى غاية الآن، تسودها الكراهية والسلبية وهو يؤاخذها على تقمص دور أبوي وعلى طمس سلطة والده في البيت. وقد انهارت صورة والده أيضا الذي لم يشكل يوما نموذجا للتقمص الذكوري، بينما ازدادت نقمته على الأم وعلى كل نموذج أنثوي، فليس لديه اهتمام بالجنس الأنثوي. يمكن القول إنه لا شعوريا، وفي مثل هذه البيئة الأسرية ازداد الشعور بالذنب لدى مراد من "تجاوز" أبيه رمزيا ليتمثل دور "الرجولة"، وتحولت نوازعه التنافسية والعدوانية ضد ذاته، وأصبح غير قادر على حل الصراع الداخلي ولا على استثمار الذات والحياة بشكل أفضل. وفقد الحب الأولي وتكثيف العدوانية ضد الذات و/ أو الآخر دفاعا عن حدود الهوية، سلمه لحالة من اليأس والسوداوية دفعت به لمحاولة انتحارية في سن السابعة عشر. والإدمان على المخدرات بكل أنواعها يلعب دور علاقة بموضوع خارجي يخفض مستوى التوترات النفسي ويستبقي حياته بعيدا عن تحول العنف النفسي الداخلي ضد ذاته.

4.3 .عرض و تحليل بروتوكول الحالة الرابعة : عمار مراهق يبلغ 20 سنة يحتل المرتبة السادسة بين سبعة إخوة (03 إناث و04 ذكور). أبوه متوفى منذ أن بلغ سبع سنوات. وأمه عاملة تنظيف. لديه أخوان أكبر منه مصابان باضطرابات عقلية. تخلى عن الدراسة، وأدمن على تعاطي "الشيرا" و "الكيف" في 15 من عمره، عندما كان يتردد على جماعة من الأقران حيث تعلم تعاطي المخدرات. حاول الإقلاع عنها دون جدوى. وكان يتدبر بعض المصاريف من بيع السجائر، رغبة في تقديم مساعدة مالية لأمه العاملة. لا يبدو مهتما بالجنس الأنثوي كبقية الشباب، لكنه يبحث عن عمل مستقر، حتى يوقف أمه عن العمل الذي

تسبب لها بالإصابة يفقر الدم وباضطرابات في الضغط الدموي. عمار متعلق بأمه ويخشى أن يصيبها مكروه، وفي حال حدوثه، صرح بأنه سينهي حياته بالانتحار.

يتضمن بروتوكول عمار سبع إجابات (R=09) وردت كلها في مواقع كلية(G=07). وأولإجابة (اللوحة (I)تنص على الدفاع التجنبي (Papillon: GF+A)، فرفض الخوض في الاستدعاءات الكامنة للوحة يدل على وجود تصورات مقلقة على مستوى العالم الداخلي لا يريد التورط في صراع مواجهتها. ورفض اللوحة (II) يؤكد على تفضيل عدم مواجهة الصراعات ومخاوف الخصاء واللجوء لرفض إيحاءات اللوحة يحقق الحفاظ على سلامة الحدود الشخصية. ويتابع عمار نشاط الدفاع عند لوحة التقمصات(III):"زوج رجال. راح يتعانقوا (ضحك) "أنا مهبول" (DKH)أمام تسرب التصورات الجنسية، بتنصيب صور إنسانية ذكورية في علاقة تقارب شبيه بالجنسية المثلية، وبكثير من الانفعال (الضحك) والتعليق والحكم على نفسه بالجنون. من الواضح أن توظيف ميكانيزم التجنب في اللوحتين الأولى والثانية يخضع للشعور بالذنب أمام الصورة الأمومية اللاشعورية، كما يستند لعمل التمسك بالمواضيع الخارجية (محتوى الحيوان)، لكن عند العودة للذات ومواضيعها النفسية ظهرت مباشرة تصورات لاستثمار علاقة جنسية مثلية كامنة.

وللمرة الثانية، يثير الشعور بالذنب جراء تصور هذه العلاقة، عمل التجنب مجددا لاستدعاءات لوحة السلطة الأبوية، فظهرت فيها إجابتين ذات أشكال سلبية وغير ملائمة وتعد تلفيقا يجرد اللوحة من تداعياتها الحصرية (un insecte: GF-A) ؛ ("Moustique: GF-A")؛(" Tâched'encre: GF Divers")تدل على محاولة إنكار طابع كلية القدرة للصورة الأبوية الداخلية أو لممثل الأنا الأعلى، ذلك تفاديا لمواجهة اجتياح عنيف لنزوات تدميرية في الحياة النفسية. ثم يقدم عمار إجابة ذات طابع حصري عند لوحة الهوية (V)حيث يتحول الشكل المدرك والمبتذل (Papillon .والله ما علابالیش. واشنوإيخوف"(GFclobA)إلى موضوع مقلق يثير الخطر على حدود الهوية. والتعليق علىالمحتوى المدرك أثارته الصدمة عند اللون الأسود، وتم بذكر تصورات انفعالية ليست بالضرورة قرينة له، لكن تشير إلى تغيرات في سير العمليات العقلية من المألوف إلى "الغريب"، مع أن اللوحة واضحة المعالم ولا تستدعي التفكك العقلي أو تسرب تصورات بدائية. وعليه، فإن في الحياة النفسية لعمار، أرضية تحتمل إمكانية الانزلاق نحو تطوير سير نفسي بدفاعات ذات نمط بدائي. بالنسبة للوحتين التاليتين: اللوحة (VI)peau de bête .هيدورهA(GF+ Ban)؛ واللوحة (VII) بحيرة (DblF+Géo) و جزيرة(GF+géo)،كلتيهما تدل على عمل التجنب باللجوء إما لمصادر ثقافية (VI) لاستبعاد بواعث الثنائية الجنسية و ضرورة حسم الاختيار التقمصي الجنسي، وإما لتلفيق الفضاء الجغرافي المادي لصد التصورات الأنثوية و/أو الأمومية التي تستحضر خبرات علائقية مؤلمة من طفولة عمار.

بروتوكول الحالة الرابعة: عمار20 سنة

رقم اللوحة	زمن الكمون	الإجابة	التحقيق	تنقيط الإجابة
I	"06	"15 Papillon	G	GF+A
II	"20	Nonهذا	رفض	
III	"30	زوج رجال. راح يتعانقوا (ضحك) "أنا مهبول"50"		DKH
IV	"19	Moustique, insecte "30 Tâche d'encre	G	GF-A GF-A GF+ Divers
V	"07	Papillon .و الله ما علابالیش. واشنوإيخوف"18"	G	GFclob A
VI	"06	هيدورهPeau de bête 15"	G	GF+A Ban
VII	"10	بحيرة أو جزيرة25"	G	G F+géo DblF+Géo
VIII	"10	ماتشبهلوالو 20"	رفض	
IX	"05	ماتشبه والو 10"	رفض	

X	"08	عيانة 18"	رفض	

Epreuve des choix : -Choix positif :Pl.I:... Papillonفيها..؟..

؟ كيف كيف بصح خسارة.:Papillonدرتوه اكحل خاطرش أيخوف... Pl.V

-Choix négatif :Pl.IX: ماعجبتنيش ماشي شابة..؟... :

Pl.X: كيف كيف ماشي شابة..؟.."

Psychogramme :

R= 09 G=07 G% = 77,8 % F+=05 F- =02 F % = 70,6 %

D = 01 D=11% A = 04 A%=44,44% F+ %=71%

D/bl = 01 D/bl=11 % Géo = 01

Fclob=01 Ban = 01

Tps. /réponse =25,66" Divers=01 Refus =05

Tps.lat.moyen =13,44" T.R.I. : 01 K = 0C (Type introversif pur) RC% = 0 %

من الواضح أن لدى عمار هوامات الجنسية المثلية غير النشطة، محاولته تجنب مصادر الصراع النفسي أو الخارجي وارتباطه الوثيق بأمه على نمط طفلي يصبان في نفس إشكالية قلق فقدانها والبقاء وحيدا. ويؤكد ذلك رفضه للوحة (X) المثيرة لتصورات الانفصال وحداد موضوع التعلق الطفلي. وضعيته النرجسية هشة وثقته بنفسه ضعيفة، فلم يجد نموذجا تقمصيا قويا لدى أخويه بعد وفاة أبيه، كما أن إشكالية الهوية لديه ضعف القواعد النرجسية إلى جانب أنها تترتب عن شعوره بالذنب من أخذ مكانة أبيه والتكفل بالأعباء المادية لأسرته. صعوباته في إرصان التصورات للعلاقة القديمة بالصور الأمومية، تؤكد النزعة الانطوائية لديه وميوله للاكتئاب، نظرا لضعف التواصل المبكر بالأم. ومنه، ينجر عدم التفاعل الاجتماعي الذي تبين أيضا من رفضه للوحة الانفتاح على عالم المثيرات والعلاقات الاجتماعية (اللوحة VIII).

4.الخلاصة

إن دراسة بروتوكولات أربع مراهقين مدمنين على المخدرات أوضحت لديهم ضعفا في الإنتاجية الإسقاطية للرورشاخ وأساليب تفكير شكلي ذات نوعية رديئة تكشف عن نقص الوظيفة الرمزية المسؤولة عن إرصان الصراعات النفسية،وتسرب انفعالات أليمة أثارت اختلالا في عمل الفكر الذي تتخلله أصلا هشاشة، جراء تدفق نوازع القلق الاكتئابي أو الاضطهادي .عدم استقرار المواضيع الداخلية، الصدمة عند الألوان، الرفض المتكرر للوحات من اختبار الرورشاخ، غياب أو ندرة التصورات الإنسانية، فقر الإجابات، انخفاض الاستجابات الانفعالية المتصلة بالاستثمارات و التبادلات مع العالم الخارجي،.. كل ذلك يشير إلى أن لدى المراهقين المبحوثين وضعية نرجسية غير أكيدة تشكل مصدر هشاشة التقمصات، اضطراب صورة الذات وعدم استقرار حدود الهوية أو الشعور بالاستمرارية النفسية.

إن المخاوف الجنسية للخصاء اتضحت لدى الحالتين (الأولى و الرابعة) حيث تعرضت الاستثمارات الليبيدية- العدوانية التي تدعم عملية إدماج النوازع الجنسية في بناء الهوية ، للتجنب و إثارة القلق الاكتئابي (الحالة الأولى: علي)، بينما خضعت هذه النوازع الليبيدية تحت قلق الخصاء الحاد، لعمل انحراف جنسي مثلي واضح نسبيا (الحالة الرابعة: عمار)، كما أنه تأكدت المخاوف النرجسية (قلق البقاء وحيدا و المنحدر من قلق الانفصال أو فقدان الموضوع الأمومي)، حيث دفعت به للبحث عن العلاقات ذات الطابع الاعتمادي (جماعة الرفاق) من أجل تماسك الشعور بالهوية، على غرار تأكيد علاقات مرآوية أو اعتمادية، لتهدئة القلق المهدد بانهيار نرجسي (الحالة الثانية: سمير). كما أن قلق الخصاء والمخاوف النرجسية ولدت عنفا نفسيا وعدائية اتجاه المواضيع تحولت ضد الذات وللمرور للفعل الانتحاري (الحالة الثالثة: مراد) .

وعلى ضوء تحليل بروتوكولات الحالات تأكدت فرضيتي البحث، وتبين لنا بوضوح كيف أن الإدمان على المخدرات يعزز الدفاع أمام هذه المخاوف الجنسية و/أو النرجسية لدى هؤلاء المراهقين،حيث يشكل موضوع خارجي "محسوس" يتم التمسك به

لتجنب التوترات النفسية وضغوط العالم الداخلي، من أجل وكولات الرورشاخ، أن التهيئة النرجسية لدى المبحوثين لا تتأهل كفاية لدعم حدود الهوية الجنسية لدى الحالات الحفاظ على الوحدة النفسية من خطر الانهيار السوداوي أو الانتحاري. وفي كل الحالات، تبين على ضوء بروت. وأن الإدمان على المخدرات لديهم يندرج كمحاولة لمقاومة انعكاسات إشكالية بناء الهوية الملائمة لمكانة الراشد.

هذه الجوانب من الحياة النفسية للمراهقين المدمنين تصب بهم في بؤرة المعاناة النفسية ذات طابع نرجسي-اكتئابي. فالأنا الذي يفتقر للموارد النفسية، ولا يجد كيفية لتجاوز هذه الهشاشة النرجسية،فيلجأ للتبعية للمواد المخدرة، من أجل تدعيم الشعور بالتواجد. إن المراهق المدمن على المخدرات يعاني من عدم الإحساس "بمأوى" جسده، بتملك تاريخه الشخصي والأسري، بالانخراط في شبكة العلاقات الاجتماعية. هو يشعر بأنه "غريب" عن نفسه وعن الآخرين. شعوره بالاستمرارية النفسية معلق أو منقطع، يدفعه لسلوك طريق "الهلوسة" الكلاسيكية للمخدر، ليختبر الشعور بتملك الحدود الجسدية، باجتياح حيز حاوي لجسد حقيقي، أو تملك الشعور بكونه شخصا كاملا طيلة استمرار الأثر المهلوس للمخدر. والبحث عن "خبرة الإثارة المحسوسة" لملء الفراغ الداخلي، لصد الاكتئابية (La dépressivité) أو النشاط التدميري لنزوة الموت، يأتي في آن واحد للكشف ولتغطية النقائص الأولية المستدخلة لعلاقة بأم فشلت في ملء وظيفتها في احتواء طفلها، تلك الوظيفة التي تؤسس الشعور بالأمن القاعدي، بالاستمرارية النفسية وديمومة الذات. ونقائص البيئة الأمومية المبكرة التي استدخلت في عمق ذات الطفل تشكل مصدرا ثابتا لعدم استقرار حدود الذات، ولعودة مخاوف بدائية تشكل"ثغرة" في كينونة المراهق المدمن، تتمثل في لقاء ما هو "عديم المعنى (le non-sens)"، وهي تعرض للخطر محاولة البحث عن الهوية الذي ينسب كلاسيكيا لسيرورة المراهقة.

قائمة المراجع

Erickson, E. (1950).*Childhood and society*. New York : Norton.

Ferrnandez, L., &Pedinielli, J.-L. (2006).La recherche en psychologie clinique. *Recherche en soins infirmiers*, pp .41-51.

Josson, J.-M. (2012). *La fonction de la drogue*. Paper presented at the conference, Laval. Availableat:http://www.riam53.fr/media/dossier_jm_josson_riam.pdf.Access date : 20/01/2014.

Laforce, Jr., & Tracy, S. (1998).Réflexion psychodynamique : À propos d'une structure de personnalitétoxicomaniaque spécifique à l'alcool et aux drogues dures. *Santé mentale au Québec*, 231, pp.214–234.

Laufer, M., &Laufer, M. E.(1989). *Adolescence et rupture du développement : une perspective psychanalytique (1ére éd.).* Paris : Presses universitaires de France.

Marcelli, D., & Braconnier,A. (2008). *Adolescence et psychopathologie* (7é éd.).Paris : Elsevier Masson.

Pages-Berthier, J.(1993).Psychanalyse et Toxicomanie. *Revue Toxibase*,2, pp.1-17.

Pedinielli, J.-L.,& Bonnet, A.(2008).Apport de la psychanalyse à la question de l'Addiction. *Psychotropes*, 14(3), pp. 41-54.

Winnicott, D.-W. (1992). L'allaitement au sein et la communication. In *Le Bébé et sa mère* (pp.43-56). Paris : Payot. (Original work published 1968).